

الحاجة إلى مركز للقيادة في أمريكا الشمالية

دالف دى ووتر

obeikandi.com

(أ) المقدمة

حيث إنه ليس من المعقول أن نقترح وجود معهد لاهوتى واحد فقد يركز على النصرانية فإنه ليس من المعقول أن نقترح الحاجة إلى مركز رئيسى نصرانى واحد فقط يركز على الإسلام.

إن ظاهرة الإسلام واسعة بالدرجة التى يستطيع المرء فيها أن يتصور الحاجة لاثنى عشر وربما مئات المراكز لتؤسس حول العالم بواسطة النصرارى ولتكون مخصصة للتركيز على الإسلام، كل واحد منها يمثل مبادرة لمجموعة معينة من النصرارى يمكن أن تحدد جغرافياً أو على أى أساس آخر، وبالتالي فإننى أعتقد أنه يجب أن يكون هناك مركز واحد أو أكثر من مثل هذه المراكز مبادرة من النصرارى فى أمريكا الشمالية، ولتعمل ليس فقط على خلق فهم أفضل للإسلام والتعامل النصرانى مع الإسلام وإنما أيضاً لتوصيل ذلك الفهم إلى واحد أو أكثر من مجموعات المنصرين فى أمريكا الشمالية.

إن الهدف الرئيسى من هذا المقال -على أى حال- ليس هو فقط مجرد وجوب إيجاد أكثر من مركز واحد، لقد أكدت دراسة رولاند ميلر على هذا، أن اهتمامنا ينصب هنا على الفكرة الأخرى الأقل شيوعاً وهى أنه متى كان ممكناً يجب أن يكون لمركز دراسة الإسلام فهماً ذاتياً يسمح ويطلب من رجاله العمل فى محيط المراكز المماثلة الأخرى والمركزة على تقاليد دينية أخرى مختلفة، وهذه فرضية متواضعة وبسيطة، ولكن لها دلالات ضمنية مثيرة جداً، فقد لاحظت مثلاً أن معظم بحوث «التصور» العشرة المعدة لهذا المؤتمر الاستشارى قد طلبت من علماء تنصير ليس لديهم أية تجربة هامة وخاصة فى مجال الإسلام، (وأنا شخصياً أقع ضمن نفس هذه الفئة)، وهكذا شعر مخططو هذا المؤتمر - بوضوح - إن رؤية أشمل للموضوع هى مهمة جداً من أجل اختراق الإسلام.

ولكن المضى قدماً لإعطاء سبب معقول للرأى الشخصى هذا هو أكثر صعوبة من عرض الاقتراح نفسه، وبالتالي فإن المتبقى من هذه الدراسة سوف يبدو وكأنه

يبتعد عن الموضوع، ولكنه سوف يكون - فى الحقيقة - محاولة لأن أشرح لماذا أعتقد أن الأمل الأكبر لحركة هامة إلى الأمام فى الأسلوب التنصيرى للتعامل مع الإسلام يكمن فى عقد مقارنات دقيقة ومنظمة مع أساليب تنصيرية متوازية للتعامل مع الإسلام مع التقاليد الرئيسية الأخرى غير النصرانية.

دعونى أولاً أن أطرح هذه الفرضية بعبارة أكثر عموماً، ليس مهماً أنه لم يكن هناك أبداً علم حقيقى يختص بالثقافات الإنسانية إلى أن تمت مقارنة الثقافات الإنسانية المختلفة جذرياً بطريقة منظمة بواسطة مجموعة نامية من العلماء ذوى الثقافات المتعددة، وتسمى «علماء علم الأجناس الثقافية»، وبتحديد أكثر فإن معظم فهمنا العلمى الحديث لظاهرة اللغة مستمد من الإرث التقليدى الحديث نسبياً والذى درس اللغات المختلفة جذرياً فى وقت واحد تقريباً، واعتبر جميع الأساليب السابقة - التى كانت مقصورة على دراسة لغة واحدة أو عائلة لغوية واحدة فقط - بأنها «غير وافية»، وكمثال فإن أفضل فهم لنا للغة الأسكيمو أو لغة الباسك أو اللغة الإنجليزية لا يعتمد فقط على وجود متخصصين فى كل من هذه اللغات منفردة ولكن يعتمد على متخصصين على علم بجميع هذه اللغات الثلاث وأكثر.

ومهما كان رأى القراء فى هذا الشكل الأكثر عموماً لهذه الفرضية فإننى متأكد من أن قليلاً منهم سوف يعترض على استعمال أسلوب الرسول بولس مع غير اليهود على أنها أول نقطة فى سلسلة مقارنات مع جهود المنصرين التى أعقبت جهد الرسول بولس، إن نقل الكتاب المقدس من ثقافة سامية إلى ثقافة إغريقية هو أحد أكثر الإنجازات الموثقة فى تاريخ الإرساليات التنصيرية وفرضيتى التى تقول إن طريقة تعاملنا مع الإسلام يجب أن تدرس ضمن محيط التعامل مع الثقافات المختلفة الأخرى تستند على الاعتقاد بأن كثيراً من الكينونات والأحداث والعمليات التى ترتبط بالوصف الإنجيلى لإنجاز الرسول بولس يمكن أن تصلح لتطبيق عالمى، على الأقل فى الوظيفة إن لم تكن فى الشكل، وإن التفسير الصحيح لهذا الإنجاز التنصيرى الذى وصف فى الإنجيل سوف يقدم لنا رؤية نافذة إلى جميع الجهود التنصيرية السابقة والعكس بالعكس.

وبعبارة أخرى فإننى أعتقد أنه يجب أن يكون واضحاً أننا إذا كنا نشطين فى محاولة تنصيرية ضمن ثقافات مختلفة، وراغبين فى مقارنة جهودنا مع جهود الرسول بولس فإننا لن نحصل فقط على فهم أفضل لما نقوم به اليوم ولكن أيضاً لما كان يقوم به هو حينذاك، إنها خطوة إضافية واحدة فقط، للاعتقاد بأننا إذا كنا سوف نقوم بتحليل مشابه للجهود التنصيرية فى ثقافات مختلفة أخرى فإننا سوف نفهم عملنا بطريقة أفضل، إذا كان هذا الاستنتاج صحيحاً فإن دارس الجهود التنصيرية التى تركز على الإسلام عليه إذن أن يعطى اهتماماً دقيقاً إلى جهود الرسول بولس كجهود مشابهة، ولكن عليه أيضاً أن يعمل فى ارتباط وثيق مع الجهود المشابهة الأخرى المحتملة مثل محاولة المنصرين اللاتينيين إنشاء كنيسة فى ألمانيا، ومحاولة الأمريكيين لإنشاء كنيسة وسط اليهود، والمحاولات الغربية لإنشاء كنيسة وسط اليابانيين إلخ... وهذا هو علم التنصير، وما من جهد منعزل مهما كان ضخماً يركز على مجموعة واحدة يمكن أن يلاقى النجاح، وهذا هو السبب الملح للاعتقاد بأننا نحتاج إلى مركز واحد على الأقل ليقوم بعمله ضمن دائرة المراكز النصرانية الأخرى التى تركز فى نفس الوقت على التقاليد الدينية الأخرى.

وفى ضوء هذه الفرضية دعونا نعود إلى العهد الجديد، يبدو وكأن العهد الجديد مسرحية ذات أبعاد عالمية فى داخلها مجموعة من الممثلين الذين يمثلون مجموعات وقوى مختلفة، وسلسلة من الأحداث والمشاكل، وإذا استطعنا أن نميز كل هذا بطريقة صحيحة فإن مسرحية كل إنجاز تنصيرى آخر سوف تحمل نظائر هامة لعدد من كيانات العهد الجديد، إن لم يكن لمعظمها، إن الطريقة الوحيدة التى يمكن أن نشعرنا بالثقة فى أننا نعمل فى مسرحية ماثلة هى أن نقارن - بتعمد - ما نقوم به مع الأسلوب والنموذج الإنجيلي الأصلي، وأن نسعى بحماسة للبحث عن نفس العنصر فى المشروعات التنصيرية الأخرى والمختلفة عن تلك التى نقوم بها وكذلك عن المشروعات المقدسة التى طرحها العهد الجديد.

(ب) نقاط رئيسية فى قالب عالمي

ما العناصر التى وردت فى العهد الجديد والتى تصلح لأن تكون عالمية فى الوظيفة إن لم تكن فى الشكل؟

١ - توجد أولاً الثقافة الناقلة:

والتي كانت فى الأساس سامية، وبالتحديد يهودية، وبهذه الصفة استطاعت هذه الثقافة أن تعزز على سبيل المثال تقليداً بطريكيًا للزواج ولكنه محلى يتفشى فيه الطلاق (على الأقل أيام المسيح) ولكنه خال فعلياً من العزوبة والشذوذ الجنسى معاً والذين كانا سمة قوية واضحة فى التقليد الثقافى الإغريقى أو التقسيم الثنائى الأرسطوطاليسى بين الجسد والروح... إلخ، وهناك ضرورة لكتاب كامل يشرح بالتفصيل الاختلافات الثقافية التى بنى عليها الرسول بولس جسره عبر الثقافات.

٢ - اليهود ذوو الثقافة الدينية، ولكن الذين لا يؤمنون حقيقة باليهودية:

كثير من هؤلاء قاوموا تأثير يسوع المسيح لأنهم شعروا بأن عاداتهم الدينية جيدة بدرجة كافية.

٣ - يهود مؤمنون حقيقة:

آمن البعض ويكل بساطة بالمسيح وتبعه ويؤكد كرافت فى مقدمة بحثه لهذا المؤتمر أنه وفى لحظة اتخاذهم القرار فإن ثقافتهم وأساليب حياتهم وبنيتهم العائلية والاجتماعية وأساليب قيادتهم ومفاهيمهم عن الحياة والزمن والخطيئة والأخلاق، وحتى عن الكائنات الخارقة للطبيعة وأنواع طقوسهم وأساليب اتصالهم وأساليبهم التعليمية إلخ... كلها كانت مترابطة.

٤ - يهود مؤمنون حقيقة ولكنهم لم يكونوا أتباعاً للمسيح:

يمكننا أن نفترض - بكل ثقة - بأن جميع اليهود المؤمنين حقيقة والذين عاشوا أيام المسيح كانوا سيكونون أتباعاً للمسيح لو سنحت لهم الفرصة، لماذا؟ لأننا نؤمن بأن المسيح قد جسد بصورة قاطعه الوحى الذى نعبّر عنه «بالإيمان الحقيقى» والذى يقتضى التصديق بالمسيح، ومع ذلك فإن بعض اليهود المؤمنين هذا الإيمان الحقيقى مثل زكرايا وإليزابيث كان يمكن أن لا يعيشا فترة كافية ليتبعا المسيح، وقد نفترض أن آخرين عاشوا أثناء أو بعد رسالة المسيح ولكنهم لم يسمعوا عن المسيح أو يتعرفوا عليه، وعلى الرغم من أن الرسول بولس ربما قد دعا إلى المسيح فى كل كنيس يهودى فى تركيا «جميع آسيا قد سمعت بالكتاب المقدس» فماذا عن هؤلاء

اليهود المؤمنين إيمانًا حقيقيًا والذين ربما ماتوا فى اليوم السابق لوصول بولس أو أولئك اليهود المؤمنين إيمانًا حقيقيًا فى تارشيث والتى هى أبعد من المدى الذى وصلت إليه رحلات الرسول بولس التنصيرية؟ إننى أؤمن بأننا نستطيع - على الأقل - أن نفترض أن أى يهودى حقيقى الإيمان ما كان سيرفض المسيح .

٥- المتهودون:

وهم حماة التقليد اليهودى أى الثقافة الناقلة، وهم بالتأكيد يتممون أحيانًا إلى الفئة (٢) أعلاه ولكن فى بعض الحالات إلى الفئة (٣) .

٦- المتهودون المؤمنون:

إن اليهود المؤمنين هم أكثر أهمية بالنسبة لنا، لأنهم كانوا يمثلون عائقًا خطيرًا أمام الرسول بولس وربما كانوا مسئولين عن استشهاده وكذلك محطمين لبعض عمله (أو لكثير من عمله)؟ . وهناك احتمال كبير بأنهم (وبسبب التزامهم الدينى الحقيقى) كانوا القوة الرئيسية الساعية لتحطيم المعابد اليهودية التى كان الرسول بولس يتمتع فيها بنفوذ مكثف، والقوة المعارضة لتبسيطه للكتاب المقدس، وهم - بلا شك - يعتبرونه مهرطقًا يحاول التوفيق بين الأديان المتعارضة .

٧- المتهودون حديثًا:

هؤلاء الناس فى السابق من غير اليهود، ولكن تم احتواؤهم أو «أقلمتهم» بواسطة طقوس موضوعة ليصبحوا على الأقل يهودًا من الدرجة الثانية، واعترف الرسول بولس فى أعمال الرسل بشرعية غير اليهود الذين تهودوا حديثًا على الرغم من أن القوى الكبرى المعارضة لدعوته أنكرت ضرورة هذا التحول الثقافى، وبدا ذلك للمتهودين حديثًا نفاقًا .

٨- الكتاب المقدس الذى يخاطب اليهود:

هنالك كتاب مقدس واحد أساسًا، ولكن هذا المصطلح لا يستعمل دائمًا بنفس هذا التحديد الصارم، وبالتالي فإن علماء ما بعد فترة الإنجيل كانوا ضمن حدود العهد الجديد عندما استخدموا تسمية الأناجيل الأربعة، إن إنجيل القديس متى

(الذى يفترض جمهوراً سامياً ويركز على إشارات العهد القديم، إلخ...) يختلف عن «إنجيل القديس مرقس» (الذى يتعمد أن يشرح التقاليد اليهودية لغير اليهود... إلخ)، ولأسباب عديدة أوصى صموئيل زويمر المنصرين باستعمال إنجيل القديس متى فى عملهم بين المسلمين.

٩- الكتاب المقدس الذى يخاطب غير اليهود:

إنه لمن الواضح أكثر عندما نرجع إلى خطابات الرسول بولس فإن برنامجه العملى فى استخدام الكتاب المقدس يختلف اختلافاً كبيراً عن برنامج المسيح: لم يكن متعارضاً معه ولكن كان فقط مختلفاً عنه «ولكنه كان مختلفاً فى بعض الأمور لدرجة أن لوثر عندما وصل إلى رسالة يعقوب وبعد ترجمته لرسائل الرسول بولس شعر -لفترة من الوقت- أن وثيقة يعقوب متضاربة ومتناقضة ووصفها بأنها رسالة من القش».

١٠- الجماعة اليهودية المحلية (الكنيس):

هذا اختراع ولدته الضرورة المتأصلة فى فترة الأسر فى بابل، ويبدو مثالياً للاستخدام فى جميع الأحوال «غير المستقرة»، سواء فى بابل أو بعد ذلك بين الأقليات اليهودية المشتتة فى أنحاء الإمبراطورية الرومانية، أو فى ظل حكومة دكتاتورية معاصرة حيث تكون للسياسة «العشائرية» بعض الأضرار، وفى العهد الجديد أصبح «الكنيس» هو الأساس للعبادة والزمالة والمجتمع، وفيما بدا هذا المجمع الكنيسى فى العادات المتشابهة جزءاً من الثقافة الناقلة فقد تم تبنيه - لفترة من الوقت - ليس فقط من قبل اليهود المؤمنين ولكن أيضاً- فى شكل معدل- بواسطة المتهودين من غير اليهود.

١١- الفريق التنصيرى:

إن الفريسيين قد «اجتازوا الأرض والبحر ليحولوا شخصاً واحداً»، واستخدموا على الأرجح فرقاً كى تقوم بهذا العمل، وإن شعورى الشخصى هو أن غياب الشرح المترابط فى العهد الجديد سواء عن الجماعة اليهودية المحلية أو عن فريق التنصير فإن ذلك يشجعنا على الاعتقاد فى كلتا الحالتين بأن الرسول بولس قد

استخدم ببساطة هذه الأساليب المركبة المعروفة لمعالجة الأمور فالجماعة اليهودية هي التركيبية المحلية الأساسية فيما كان يدخل ضمن التركيبة الفريق العامل جزءاً اختيارياً.

١٢- المعبد:

كان هذا جزءاً من العالم المستدين الخاص بفلسطين أيام المسيح واستمر يستخدم بطرق معينة بواسطة اليهود المؤمنين الذين كانوا يسكنون على مقربة كافية منه ولكنه أصبح بالضرورة أقل أهمية بالنسبة لهم في فترة التشتت.

١٣- الختان:

أصبحت هذه الشعيرة طريقة للتمييز من اليهود والإغريق أيام المسيح، وكانت واحدة من أهم «شعائر المرور» في التقاليد الدينية اليهودية وعلامة بدينية طبيعية دائمة لتحديد عضو الجماعة اليهودية، وعلى الرغم من أنها لم تميز بالفعل اليهود عن عدة مجموعات سامية غير يهودية (انظر أرميا ٩ : ٢٥ ، ٢٦) لها اعتباراً كبيراً في عملية التهويد.

١٤- الشرع:

وهو الأساس المكتوب للأسلوب اليهودي للحياة، ويلاحظ أن جميع الموروثات الثقافية لديها نمط للحياة منظم جداً، مثلما أن جميع اللغات مركبة بصورة متساوية، ولكن ليس لكل الثقافات سجل مدون يحدد نظمها، وفي العهد الجديد نجد للثقافة الحاملة نظاماً مكتوباً فيما لا يوجد للثقافة المستهدفة «شيء مدون» له نفس المرتبة.

١٥- الشخصية الرسولية:

يصور العهد الجديد فرداً مفرطاً في طاعته وامتقد العاطفة نذر جميع جهوده لحمل الكتاب المقدس للناس الذين ليس من ضمن تقاليدهم بعد وجود جماعة تتعبد بدين فطري في البداية، ثم تنصير الرسول بولس داخل تقليده اليهودي ولكن بعد مضي بضع سنوات، وبسبب صلته الطويلة بالتقليد الثقافي الإغريقي بدأ

الرسول بولس يعتقد بأن تجربته الإنجيلية المتطرفة لم تكن بحاجة إلى أن تنحصر فقط فى الأشكال اليهودية، ولكن كانت تعنى شيئاً مشيراً خارج نطاق الأسوار المقدسة الخاصة بثقافته، واستراتيجيته فى التعامل مع اليهود باعتباره يهودياً ومع غير اليهود باعتباره غير يهودى، كانت تكملة عملية لتلك الثورة الداخلية العميقة، وكانت ستكون مستحيلة لولا هذه «الخبرة الإنجيلية».

١٦- الإنجيل المكتوب باللغة المحلية:

أنتج الرسول بولس أدباً جديداً فى الثقافة المستهدفة، ولكنه استند فى كل نقطة على إنجيل واضح وافترض وجوده (الترجمة السبعونية اليونانية للتوراة) فى أيدي الناس الذين آمنوا بالمسيح.

١٧- الأشخاص الأتقياء الذين يخشون الرب:

إننا نفهم هؤلاء الناس على أنهم فئة المتعاطفين الذين جذبتهم مواد الوحي المضمنة فى الثقافة الناقلة، ولكنهم سرعان ما أدركوا التباين الثقافى الذى صرفهم عن الطريق اليهودى للحياة، وفى كثير من الأحوال فإن الكنيس الذى أنشأه اليهود المشتتون فى العالم كان يشبه الساندويتش المكون من ثلاث طبقات، فهو يحتوى على اليهود الذين ولدوا يهوداً، واليهود المتجنسين، والمتعاطفين (الذين يخشون الرب)، إن وجود أناس لم يقطعوا صلتهم بإرثهم الثقافى وواعين لوجود معنى روحى متوفر فقط فى ثقافة أجنبية كان بداية رئيسية كبرى للرسول بولس، ومن خلال التعامل مع هذا المعتقد الأول لهؤلاء الناس بجدية يتم توليد استراتيجية تنصيرية حقيقية لثقافات مختلفة، وتوضح تجربة الرسول بولس فى (أعمال الرسل ١٣) إن انتهاج أسلوب يتسم بالروحانية والوعى قد ينجح فى اقتلاع مثل هؤلاء الناس من معتقداتهم الجزئية الواهية، وفى غياب مثل هذا الأسلوب فإنهم سيقفون بعيدين ما دام السبيل الشرعى الوحيد للانتماء هو التحول من دين إلى آخر، إن المجال لا يسمح بتقصى الأمثلة المطابقة للنقاط التى أثارها البحث عن إبلاغ الكتاب المقدس فى بيئات ثقافية مختلفة، دعونا نعالج مجموعتين من العناصر التى يمكن تطبيقها عالمياً وذلك على ضوء معطيات العهد الجديد.

(ج) العمل الجاد للقيام بدراستنا عن طريق المقارنة

لتحقيق أغراضنا العاجلة دعونا نفهم تقليدًا تنصيريًا يمكن إجادته ويتم توضيحه بما حدث حين أصر اليهود المؤمنون على تهويد غير اليهود حتى يتم تخليصهم، وسوف نسميها عملية الإجازة والتي تتم عندما يكون ما هو حيوى وسار فى الثقافة (أ) يتم قبوله بغباء فى الثقافة (ب)، إنه من السهل على أى شخص أن يكون ملتزمًا بالشرع والقانون داخل ثقافته الخاصة، عندما لا تتماثل أساليب سلوكه الخارجية مع معنى داخلى مناسب، مثل هذا التعارض القانونى غير متوقع النشوء عندما تكون الأساليب الخارجية للثقافة (أ) غير منسجمة فى معنى داخلى مناسب فى الثقافة (ب).

إن المنصرين الشرعيين فى العهد الجديد من المتهودين، وكانت الرسالة الشرقية تطبيقًا غيبًا وجامدًا للقانون الموسوى على اليهود عامة وعلى غير اليهود بصفة خاصة، أما الوصايا العشر فلم تشكل أية عقبة إذ لم يكن لها أى مضمون ثقافى يذكر ولكن بعض جوانب الحضارة السامية مثل الختان اصطدمت مع التراث غير اليهودى.

لقد كان المنتصرون الشرعيون من المتهودين حديثًا، وكان الكنيس هو قوام مجتمع العبادة الشرعى وقد نقل برمته إلى الأوساط غير اليهودية، إن المرء الذى ينشأ فى العرف النصرانى فى الولايات المتحدة، والذى لا تتاح له فرصة الاطلاع على محتويات العهد الجديد إلا قليلاً سوف يفترض بكل بساطة أن الفريسيين والمتهودين لم يقوموا بأى عمل جيد، كما أن هنالك إشارات أخرى فى الإنجيل توضح بأن فرق المنصرين الفريسيين قد اجتازت الطرق الرئيسية للإمبراطورية الرومانية وربما أبعد من ذلك متجهة شرقًا لأكثر من مائة عام قبل ميلاد المسيح، إن تركيبة هذا التراث النصرانى الشرعى ليست أقل سوءاً من الحملات الصليبية التى قامت بعد ذلك بعدة قرون، ومن المؤكد أن وجود مناطق آهلة باليهود المشتتين فى العالم وتأثيرهم المحسوس على المجتمعات غير اليهودية المجاورة لهم كان له أثره المباشر فى نجاح دعوة الرسول بولس، ويقال إن الرسول توماس فيما بعد بدأ دعوته بين اليهود فى الهند من خلال الكنيس، إذ ليس من المستبعد وجود جماعات

يهودية محلية على هذه المسافة شرقًا، بل هناك دليل على وجوده فى القرون الوسطى حتى فى كوريا.

ويمكن القول إن دعوة الرسول بولس لم تكن مهتمة بغرس الكنائس بقدر اهتمامها بزراعة الكنيس وإحداث شقاق فيه، وعندما أجبر الرسول بولس على الانحياز لأحد الأطراف انحاز إلى التقاة من غير اليهود بدلاً من اقتصار دعوته على اليهود الأصليين الذين يتميزون عن غيرهم بالختان على عكس دعوة الرسول بولس الشرعية، وعلى عكس ذلك فإن الرسول بولس قد أعطانا نموذجاً للعمل التنصيرى غير المجاز فهو لم يفرض على غير اليهود التقاليد الثقافية اليهودية، كما أنه وباعتباره منصرّاً تقليدياً لا يعتبر أن مجرد التطابق الثقافى مخلص لليهود ولغير اليهود، وعلى الرغم من الهزة الثقافية فإنه حتى اليهود المعاصرون (من أمثال شوينفيلد) يشعرون عندما يقرأون عن مساعى وجهود الرسول بولس بأن «أساس ديانة بولس» لم تكن التوفيق بين المعتقدات الدينية بل إيجاد التقليد الذى لا مفر منه والناجى عن صهر حياة جديدة فى الأدعية الطينية الثقافية المقرفة للتقليد الثقافى فى غير اليهودى.

إن أقرب خطوة مماثلة للجسر التقليدى الذى بناه الرسول بولس للعبور من اليهود إلى غير اليهود نشهده بوضوح فى تجارب مارتن لوثر الذى حاول أن يوفق بين ثقافتين مختلفتين، وكما هو الحال مع الرسول بولس فإن مارتن لوثر قد خاض تجربة تنصيرية فى إطار أنماط الثقافة الناقلة (النصرانية اللاتينية)، ومهما ظلت النصرانية اللاتينية طبيعية فى نظر جوهان ستوبيتز المتخصص فى دراسة تجربة الرسول بولس والذى سهل على لوثر اكتشاف المسيح وسط الأشكال اللاتينية إلا أن لوثر (الذى كان ألمانياً أكثر مما كان بولس إغريقياً) قد أدرك بالتدريج أن الشعب الألمانى لا يحتاج إلى إنجيل مكتوب باللغة المحلية فحسب ولكنه يحتاج إلى عقيدة حقيقية لا يشترط تعريفها بالالتزام بقوانين أو مبادئ أية ثقافة أخرى وبخاصة التراث اللاتينى، لقد كان لوثر من المتهودين حديثاً، وبعد ذلك أنكر الحاجة إلى العلاقة اللاتينية وأصبح داعية إلى التراث الألمانى النصرانى، وقد دافع «المتهودون» من أمثال جون إيك دفاعاً شديداً عن عالمية الأنماط اللاتينية بما فى ذلك الترجمة

اللاتينية المعتمدة للكتاب المقدس من قبل الكنيسة الكاثوليكية بينما أصبح لوثر لكل من يفهمه فهمًا صحيحًا النموذج الأصلي للقائد الوطني المتمسك بتقاليد نصرانية الأصل محلية الصيغة.

لم يقصد الرسول بولس ولا لوثر أن يفندا صحة الاعتقاد في الثقافة الناقلة، ولكن القارئ العابر في كلا العصرين يخلص إلى أن التوتر بين التراث الشرعي وبين معطيات العهد الجديد يعزى للتباين بين التراث اليهودي والإغريقي أو بين التراث اللاتيني والألماني أكثر مما أن يعزى إلى التفسير الشرعي لأى من هذه الثقافات أو إلى التجربة النصرانية في كل منهما، والحقيقة فإن هنالك مؤمنين جادين في كلا الحالتين خلطوا بين معطيات الإنجيل وبين ثقافتهم المحلية، ونتيجة لذلك فهم يميلون لعرقلة الجهود التنصيرية لإبلاغ الكتاب المقدس في بيئاتهم الثقافية المتباينة.

وعلى الرغم من أن النصرانية في الوقت الحاضر توطنت وتجانست مع عشرات الثقافات إلا أن صلة أربعة من أكبر القطاعات البشرية (الصينيون والهندوس والمسلمون والبوذيون) وكذلك صلة الألف الجماعات الصغيرة لا تزال على ذلك النوع من الصلة الشرعية بالنصرانية التي كانت سائدة فترة ما قبل الرسول بولس، فالنصرانية التي يعرفونها ويفهمونها تشكل خطراً على تراثهم الثقافي.

في مطلع القرن السابع عشر أثرت وطأة المنصر فاليكنانو في اليابان وريسي في الصين ونوبيلي في الهند على مئات الألوف من الناس المتمسكين بتلك التقاليد دون أن تحدث هزات ثقافية حاسمة، فالمسائل الضرورية مثل الختان قد تم التغلب عليها بنجاح، ولكن الإرساليات المجيزة التي قدمت فيما بعد قضت على تلك الومضات وفرضت أنماط الثقافة الناقلة، والتجارب التنصيرية في الغرب توضح على وجه العموم بأن مظاهر النصرانية المحلية البحتة التي هي نتاج لغتين قد أثارت العداء والتشكك.

لقد كان الإسلام بالنسبة للعديد من المجتمعات غير الإغريقية في الشرق الأوسط في القرن السابع انعتاقاً من العبودية المقنعة ومن سيطرة الثقافات الإغريقية

والرومانية ولقد ملأ الإسلام الفراغ الناتج عن غياب صيغة عربية للعقيدة النصرانية المتأثرة بالتراث الإغريقي، وعلى كل حال فإن مسألة الختان التي كانت تشكل عقبة في دعوة الرسول بولس بين اليهود كانت غائبة تمامًا في الأوساط العربية لأن العرب يختنون أبناءهم، واحسرتاه! فمن الملاحظ في أمريكا اليوم أن الكثير من أبناء غير اليهود يختنون ولكن في غياب أية أهمية للطقوس فيما نلاحظ أن تعميد الأطفال الذي حل محل الختان يعتبر إهانة تثير حفيظة المسلمين.

دعونا نتخيل منضدة تمثل صفوف سطوحها التصانيف التي يمكن تطبيقها عالميًا وتمثل قوائمها بعض «الجسور التنصيرية» الهامة: يهودية/ إغريقية، لاتينية/ ألمانية، غربية/ هندوسية، غربية/ صينية، غربية/ يهودية، وغربية/ إسلامية.

وهنا نجد أن الختان والغذاء والأيام المقدسة هي العقبات الرئيسية بالنسبة للفئة اليهودية والإغريقية، أما بالنسبة للألمانية/ اللاتينية فهناك المذات والعزوية وسلطة البابا، أما الغربية الهندوسية فتتمثل في أكل اللحوم «ومناحي الجمال في النساء» ومفاهيم الزواج القائمة على مظاهر التفرقة العنصرية والاجتماعية، وتتمثل الغربية/ اليهودية في أنواع الأطعمة المباحة «شرعًا» والتعميد وأيام العبادة، وبالمثل نجد أن القضايا الغربية/ الإسلامية/ تحوم حول الغذاء وشرب الخمر والتعميد والأيام المقدسة وصيام رمضان والصلاة الجامعة.

والآن، دعونا نبحث عن أدلة لتقليد شرعي، فبالنسبة للعلاقة اليهودية/ الإغريقية نجد أن المتهودين يدعون الإغريق للدخول في الكنيس اليهودي تاركين المتعاطفين (أي الثقة الذين يخشون الرب) خارج هذا التجمع، أما بالنسبة للعلاقة اللاتينية/ الألمانية، فإننا نجد ذلك الوضع الذي تحول فيه مارتن لوثر الشاب الألماني إلى نصراني لاتيني في دولة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية وكان متمتعًا بحماية كل من جون ساتزال وجون إكس، وإذا تساءلنا عن الأدلة على شرعية التقاليد في الهند اليوم فإننا نجد أن معظم الكنائس تتكون من طوائف صغيرة من المنبوذين تسعى جاهدة لعدم الاعتراف بنظام الطوائف الاجتماعية، هذا المجهود الجريء الغربي يعيق العمل التنصيري وسط ملايين الناس المتعاطفين من الطبقات الوسطى، وبالمثل أيضًا فإن الجسر الغربي/ الصيني يتم عن تقليد تنصيري يدعو إلى الشرعية،

فالكنائس الصينية البالغ عددها ٤٠٠٠ كنيسة فى العالم فى الوقت الحاضر قد تحررت من الطقوس الموروثة، إن الحرس الأحمر الذين دعوا إلى التفريق وحاربوا التقاليد الصينية قد باؤوا بالفشل ولكن فشلهم يمكن أن يكون عظة وعبرة للعاملين على تطبيع التقاليد الصينية - النصرانية وفقاً للنظام الغربى .

أما المساعى اليهودية الغربية، فقد ركزت على الحصول على معتنقين جدد وبهذا تمكنت من إقناع اليهود بالتخلي عن طرق حياتهم اليهودية والسماح لهم بارتياح التجمعات الغربية وإبرازهم غنائماً دالة على المجهودات التنصيرية التى اجتازت الفياضى والبحار لكى تنصر يهودياً واحداً، هل نجد لهذا مثيلاً فى الأساليب الغربية الهادفة لتنصير المسلمين؟ دعونا نساءل: هل أن المنصرين الجدد الذين يقتلعون من أسرهم ويحرمون بصورة عشوائية من تراثهم الثقافى ويحتفى بهم غنائماً خاصة؟ من الممكن أن نكتشف عبر هذه الأنماط أدلة للأسلوب التنصيرى غير الشرعى، من هم المنصرون غير الشرعيين فى مجال المحيط اليهودى الإغريقى نجد الرسول بولس وبالنسبة للنمط اللاتينى/ الألمانى نجد ستوبيتزر، وبالنسبة للنمط الغربى/ اليهودى نجد أناساً مثل فيل قوبيل، وهو شخص غير يهودى يسعى لإنشاء جماعات يهودية محلية عيسوية، هل هناك أدلة على وجود قادة قوميين غير شرعيين؟ بالنسبة للمحيط اليهودى/ الإغريقى نجد بريسلا وأكوپلا، وبالنسبة للمحيط الألمانى نجد مارتن لوتر، وبالنسبة للمحيط الغربى/ الهندوسى نجد سوباملا، وبالنسبة للمحيط الغربى/ الصينى نجد ووتشمان نى، ألا يوجد لدينا موسى روسيث بالنسبة للمحيط الغربى/ اليهودى؟ فهل يوجد مثل هذا الشخص فى المحيط الغربى/ الإسلامى؟

إن المجال لا يسمح بمتابعة هذه المقارنات بصورة مستفيضة كما أن البحث يهدف إلى تشويق القارئ للحاجة لمتابعة هذه المقارنات بنفسه حتى يتمكن من تحديد قيمة دراساتنا للمنهجية النصرانية تجاه الإسلام عندما نتبين الدراسات المقارنة لجسور تنصيرية مغايرة، وحيثما تنقلت فى أجزاء العالم لاحظت أن المنصرين يدعون بأن أوضاعهم فريدة وإن الوقت لا يسعهم للقيام بمقارنات جادة بين وسائلهم فى

الدعوة إلى النصرانية وبين الوسائل التنصيرية الأخرى، فهم يقولون «اليابان مختلفة» ويصرّون على أن «اليهود يشكلون عقبة فريدة» ويستطردون قائلين «ما الذى يمكن عمله مع الناقاجوس الذين يشكلون حالة خاصة؟ أليس صحيحاً أيضاً أنه ليست هنالك حضارة إنسانية فريدة بدرجة لا تسمح بتحليلها بصفة عامة عن طريق المقارنة!

ملاحظة المحرر: لم يطلب من المشاركين التعقيب على هذا البحث لأنه وُزع متأخراً.

...